

# الأخبار

## هبة كلش... أبجديّة بصرية ملؤها التجريب

آداب وفنون | فنون تشكيلية | نيكول يونس | الثلاثاء 26 حزيران 2018



من المعرض

«أدخل ببطءٍ في قرباني الذاتي، روعة مزقها النشيد الأعظم وكأنه الأول.

أدخل ببطءٍ في الكتابة، كما قد دخلتُ في الرسم. هو عالم متشابك من النبات المتسلق، والمقاطع اللفظية، وزهر العس والألوان والكلمات- عتبةٌ مدخل كهف الأجداد، رحم الكون حيث سأولد (..) ما أقوله لك، يجب أن يُقرأ بسرعة، كما ل

النظر» (من كتاب «أغوا فيفا»، كلاريس ليسبيكتور. 1920-1977)

حوار ثقافي بصري بين أبعاد الكلمة واللون بأعلى مستوياته في «غاليري صالح بركات». أكثر من 30 عملاً فنياً (بين 30 س أمتار) بمختلف الوسائط (من حبر أو اكريليك على ورق أو قماش، إلى تشكيل الأحجام من طين) كلها تطرح بحثين: فنر وآخر تقني. يكاد عبرها معرض هبة كلش (1972) يكون الأول من نوعه لتلازم المسارين الاختباريين بهذه القوة، أو لناح وتراكم مسيرة فنانة شابة في لبنان بهذا الإصرار الدؤوب. تلعب كلش بالوسائط المختلفة بتمكّن تام، مع مخزون تراكم التجارب التشكيلية المتنوعة، الناضجة والمثمرة في آن. تفعل ذلك من دون القطع مع الماضي وتجاربها الأدائية في سان فرانسيسكو، أو حتى دراساتها النحتية، بل آخذةً بكامل خيط مسيرتها من أوله حتى اللحظة. تحدّ للذات ووفاءً للتطر والذهني، قل نظيره بين فناني وفنانات الجيل الشاب، إذ يركن بعضهم إلى منطقة الراحة لديهم عكس ما تفعله كلش باستمرار.





«في البدء كانت الكلمة» لكن مهلاً، ما هي العلاقات الكلامية التي تُحيك للجملة معناها لباساً؟ ما هي النصوص؟ ما هي النصوص السماوية؟ ما الأمل؟ ما الجنة؟ ما الجنات؟ ماذا تخط أحرف الكتب المقدسة؟ ما هي فواكه الجنة؟ ما دخل الجسد في كل هذا؟ ما الاختلاف والتضاد أو حتى الترادف والانسجام بين الكلمات والألوان؟ ما دور السردية؟ ماذا عن التفكيك؟ ماذا عن الهدم لإعادة البنية كثيرة تُطرح هنا بجراً حيناً وخفراً أحياناً. بكى بعضهم عند رؤية طرح هبة كلش البصري، فيما ضحك آخرون فرحاً برؤيا الجنة، و الحتمي، أن أي راءٍ لن يتمكن من الوقوف بلا تفاعل عميق وجذري أمام هذا المعرض، فيجد نفسه أمام فعل إعادة تركيب مشاهد وفلسفة، وشعر، أمام تفكيك معتقدات وإعادة بناء.... أمام تشكيل تفاعلي بامتياز، تديره لوحات كلش عن بعد كجذب مغناطيه تضاويه.

### جاز بصري

الرحلة البصرية في معرض كلش، لا تقتصر على فعل اجتياز/«عبور» طريق العرض من اللوحة إلى التالية. بل هي رحلة «سلوك» عمق دروب طبقات اللوحة الواحدة. والسلوك/ الطريق في المصطلح الصوفي أهم من الغاية، بل هو الغاية. في عمق طبقات اللوحة تبدو المسارات متعددة، والشفافية تسمح باجتياز حدود المساحة المسطحة إلى شرائح متراكمة، مرغبة الطبقات، موزعة تلقائياً بين أو دُنيا. كل هذا على قماش لوحة، وملمس ورقة. نسيج لونٍ لِيِّن طَيِّع.. يذوب أو يجمد ليكوّن كلاً منوعاً متفجراً على مساحة اللوحة وتضعف، تسمك أو تهش حسب الراق/ القشرة. كعزف الجاز، أو الأدق كالنوتة الزرقاء في لعبة جازية اختبارية أو ارتجالية. بعضها المؤلف بالأحبار على الورق، يوحى للوهلة الأولى بأنه حشائش بحرية متداخلة. لكن سرعان ما نرى داخل النسيج أبعاد الطلّ الأخرى، ك«مانترا» تكشف لنا مع الوقوف أمامها أعماقاً متعددة. الأرجح أنها في أنفسنا! هنا يتنوع اللون مراتب ودرجات وأحوالاً، ألوان الأصفر المشع والأخضر المنعش الذي يميل إلى الصفرة الحادة، وأخرى عشبية خريفية تميل إلى الزيتي، أو أحمر يختلف عما وتركيباً، من زهر غزل البنات المدهش للعين إلى الأحمر القاني المستفز للطاقت الذهنية، أو خطوط حبرية تذوب أو تتداخل وتتشاب كخيوط متعانقة تسمك بعاطفة الرائي بقوة. وقلبه كعاشق يتأرجح مع صوت معشوقه يتلو الأحرف شعراً. ثم يصطدم الذهن في التالية بأشكال تحيلها الذاكرة البصرية إلى أجزاء/ أعضاء من جسد الإنسان. حقائق عاطفية مترجمة بصرياً، كلها بالتوازي مع انط

استثنائية ونوعية من عنوان يفتح الشهية الإبداعية، يستفز الخيال ويحفز على التساؤلات. عنوانٌ كان عملياً آخر ما كتبه فرانز كافو أن يكمله: Limonade es war alles so grenzenlos أو «ليموناضة كل شيء كان بلا حدود». لكن كلش تختار ترجمة هيلين س «ليموناضة كل شيء كان لانهائياً». لطالما كانت ترجمات هذه الجملة أشبه بالتنويعات الموسيقية على مقام لغة كافكا. عزف يمتد اللغوي حتى إعادة التوزيع الكلامي. حاملة هي أيضاً احتمالات لامتناهية، وأغلفة وطبقات لامعدودة. والفارقة كما المتعة المضاعف تمكن هبة كلش من اللعب على هذه اللغة. ليس فقط بصرياً بل فكرياً وفلسفياً، طارحةً أبجدية بصرية اختبارية جديدة على ساء اللبنانية. تغوص بعمق تقني بالتوازي مع الفكر، في أبعاد وأعماق المساحة المسطحة. وتبرهن للرائي أن الأبعاد والأعماق إنما تُخلق فيما يبقى التسطیح خياراً لا يفي حق المنطق الإبداعي.

### من «الأمل» إلى «الجنتات المقدسة»

«لا شيء يبدأ بالطلق من اللا شيء. هناك تتالي، تتابع، واستمرارية» تقول هبة كلش لـ «الأخبار» عن موضوع معرضها. بين تساؤلات ومحاولات اكتشاف كيفية صنع الفن من دون سردية/ أو قصة، وبين بحث عملي لسنتين في مشروع حوار مع أهل الفنون البصريا عن اللون. ما هو هذا اللون الذي نعيش معه؟! فتحول الأخير إلى لغة. من هنا دخلت كلش في قراءات متنوعة ومتشعبة وصولاً إلى الألوان، أو حتى تاريخ اللون، من بداية طحن المواد لصنع الألوان الأولى. في الوقت عينه، كانت قد باشرت بتشكيل أعمال تجريدية تحتاج إلى قصة أو الأدق إلى سردية ما، تتمسك بها «لأن حياتنا إلى هذا الحد معلقة بقصص، فعدتُ إلى عنوان مشروع سابق وم «الأمل»، وكيف أن الإنسان يتعامل أو يتعاون مع وجعه وجرحه، بخاصة إبان التروما الجماعية بعد الحروب. كانت هناك دائماً فكرة/notion عن الأمل. توجهت قراءاتي من فكرة ذات صلة بالأمل إلى مفهوم بناء الجنة في النصوص الدينية. بدأت أتوسع في الذا وتتوسع الأسئلة بديهياً، من أسئلة وجودية إلى غيرها مثل: لم هناك كتب؟ سماوية أو غيرها؟ لكن بقي اهتمامي كفنانه مركزاً على وكلمة مكتوبة، كنص مكتوب. كيف نتشربه، نهضمه، ثم نفهمه على المستوى العقلي أو الذهني الصرف. ثم كيف هو مؤوّل عبر والخيال يأخذ دائماً منحىً شخصياً فردياً. لكننا أفراداً في مجتمعات ونبقى متصلين بالعالم. ثم تأتي عملية البناء: المفاهيم، الحدود، التقسيمات الجغرافية. ونرى الكثير من الظلم. وهكذا بدأت فعلياً العمل بعمق». وتضيف كلش: «من البناء/ الهيكلية الدينية وفي النصوص التي تحكي عن الجنات وكيف وصفت هذه الجنات في الكتب السماوية، بدأت استخرج جُملاً من النصوص. أخرجتها بالذ إطار النص الكامل. ثم عملتُ على اللغة الوصفية أو وصفية اللغة (وظيفية). فهذا ما كان يهمني. ليس كنقل للنص، وإنما كيف ه وموصوف ولغوي عبر محاولة ترجمة بصرية».





لكن التصاق كلش بالنص الديني الذي بدأت منه، أوصلها إلى متاهة لا ترضيها، وهي وجود سردية وتأويلات تقع في الحرفي. «لذا: المرحلة، صار عندي قطع مع هذه النصوص الدينية. اضطررت أن أضعها جانباً، وأرى فقط اللغة الوصفية الخاصة بي التي تمكنني بها وعليها. كيف يمكن لهذه اليد أن تجعل اللغة تبني؟».

إنه السؤال المفتاح الذي ربط المضمون بالتقنية، والمفهوم الفلسفي بالفعل الفني الصرف لدى هبة. عملية البناء أصبحت تتم عن ط أو التفكيك، ثم إعادة البناء. وهو فعل مستمر، حيث أصبح للحركة الجسمانية في إطار العمل الفني قبل وخلال وبعد التشكيل د بالنتاج الفني البصري الأخير. وهو بذاته دليل استمرارية منطقتها الفني منذ عام 2003 وتطوره ونضجه الدائم دون التخلي عن أي د إننا نراه اليوم يُثمر في ظل الخروج من إطار السردية إلى البناء، بعد الهدم بكل المعطيات الممكنة. يأتي ذلك بناءً على جمع لغة كانت:

كليا، ثم مخفوقة بطريقة فوضوية لانظامية إطلاقاً. ومن هذا المزيج تصنع تجاذبات، وعلاقات لغوية وبصرية جديدة. تُراكم الطبقة الأخرى، ثم تحصل على قطعة واحدة/ موحدة. فعل أقرب ما يكون للهندسة المعمارية أيضاً، حيث تتداخل وتُرَكَّب الطبقات بناءً. الجزئيات.

«عندما تركت النصوص الدينية، رجعت إلى نصوص تحليلية نفسية، وفلسفية. رجعت لهيلين سيكسو، ومنها إلى كلاريس ليسبي مكتشفة كتابها «اغوا فيفا». كان ذلك مدهشاً. كم أنها تكتب عن نفس العملية/ الطريقة أو المعالجة الخاصة بي، بشكل لا معقوا طريقتها في الكتابة المجزأة، وال non-linéaire. كلها تبدو كأن لها مرجعاً ما أو أن لي عودة إليها في عملي. حتى مفهوماً، كيف تُد ليسيكتور مبدأ الحياة، والحياة بعد الموت؟ وكيف يأتي إلينا من دون أدنى إنذار.

## كانت مهتمة بالعمل على مضمون مرتبط بالفرح والسعادة والأمل

ثم في لحظة، توقف نصّها وتنتقل فجأة للكتابة في موضوع مختلف. كان ذلك فعلاً قريباً حد الالتصاق من طريقة عملٍ عدم الدقة في الفكرة بذاتها، والغموض، وكيفية جعل اللون يترجم عملياً ذلك، كالكلمات من دون حرفية. وقد تأثر معرفتي أنها كاتبة ورسامة في آن! في الحقيقة، ما يعنيني كان تلك الوضعية التي نجد فيها أنفسنا كفنانيين! وكيف يُعا هذا الموضوع الذهني! بحسب هبة كلش التي عنونت معظم لوحاتها من نصوص ليسيكتور، من دون أن تغفل عن أ؛ من الكتب المقدسة/ السماوية. هبة نفسها التي شكلت مجموعة من الموز من طين مرافقة للوحات، تحفظ غيباً كل كل للجنة في الكتب السماوية المقدسة الدينية، وكل فاكهتها.

## الكلمة بعداً رابعاً

أما بالنسبة لصالح بركات، فهذا المعرض له خاصية فريدة «شهدت تفاصيل ولادته منذ البداية. كانت هناك مرحلة من علاقة بالموضوع/ المضمون ودراسته. وأشهد أن هبة كانت مثلاً حقيقياً للفنان الذي يأخذ موضوعاً ويدرسه من ألفه إلى جدية ومثابرة. كانت مهتمة بالعمل على مضمون مرتبط بالفرح والسعادة والأمل، بعيداً عن الأجواء السلبية. قرأت ب ورأيته كيف تعمل مع أناس كبار كي تعرف كيف تُقارب موضوعها، إلى أن نضج مفهوماً في ذهنها. دخلت عندها مخا المباشر، وتطور من أقصى الالتزام والتنظيم إلى أقصى الحرية! أعتقد فعلاً أن هبة أعطت كل ما يجب أن يعطيه الفنان د ومشاعر. واعتقد أن كل الناس الذي زاروا المعرض قد رأوا وتفاعلوا وانعكس عليهم ذلك بشكل مباشر».

ولدى سؤالنا عن تصنيف هبة في المشهد الفني التشكيلي اللبناني اليوم، يجيبنا بركات:

«لقد عاشت هبة فترة هامة من مسيرتها الفنية خارج لبنان. حينها لم تكن نعرفها. وعندما عادت، كانت تحاول أن تضيع منها هنا. أن تقول: أنا موجودة. وها هي اليوم، وبما لا يقبل الجدل، تثبت نفسها بقوة كواحدة من الفنانين الجداداً». يبقى أن أصدق ما قد يصف عمل كلش، ما كتبه الرسامة والكاتبة البرازيلية كلاريس ليسبيكتور أيضاً في «أغوا» أريد أن التقط الحاضر الذي، بطبيعته، محرّم علي... ثيمتي هي اللحظة، ثمّة حياتي. أبحث أن أشبهها، أتجزأ آلاف المرات التي يوجد فيها ثوانٍ/ لحظات تمر/ تندفق. مجزأة أنا واللحظات غير مستقرة. لا أفهم نفسي إلا مع الحياة التي تروى الوقت، وأكبر معها: لا مكان بالنسبة لي إلا في الوقت... الموسيقى لا تُفهم: وإنما تُسمع. اسمعني إذاً بجسدك كله. وعاشقك ستتمكن من قراءتي، سوف تسألني لم لا أتوقف عند حدود الرسم والمعارض، بما أنني أكتب بشكل قاسٍ/خشن وغير ذلك أنني الآن أشعر بضرورة الكلمة- وما أكتبه جديد بالنسبة لي لأن كلمتي الحقيقية، حتى الآن، لم يتم الوصول إليها هي بُعدي الرابع».

\* «ليموناضة كل شيء كان لانهائياً» لهبة كلش: حتى يوم الجمعة. «غاليري صالح بركات» (كليمنصو). للاستعلام: 13

